# الاتجاه السياسي في الرسائل الديوانية في العصر العباسي الأول

د. معتصم إبراهيم مصلح لطيف

جامعة سامراء/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

moatasem.i@uosamarra.edu.iq

**الملخص:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) وبعد ..

تشكل الرسائل الديوانية في العصر العباسي الأول أهمية كبيرة في التراث الرسمي عند العرب، إذ كانت أداتهم في المخاطبات السياسية وتسيير أمور الدولة في مختلف الاتجاهات السياسية، ولهذا استعملت فيها مستويات مختلفة من الخطاب، بحسب المناسبة التي كانت توجهها وتتحكم بموضوعها وأسلوبها، ولاسيما أن هذه الرسائل كانت على قدر كبير من الفصاحة والبلاغة والجزالة وحسن الصياغة وتعدد المعاني والمقاصد، فتحتاج إلى تفكيك لتعبيراتها ومعرفة معانيها السياسية بصورة دقيقة.

الكلمات المفتاحية: (الاتجاه السياسي، الرسائل الديوانية، العصر العباسي، الكتابة النثرية).

# The political trend in the official letters in the first abbasid era

Dr.moatasem ibrahim mosleh latif

Samarra University / College of Education / Department of Arabic Language

moatasem.i@uosamarra.edu.iq

**Abstract:**

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our master Muhammad (may God bless him and his family and grant him peace).

Criticism in the Abbasid era was diverse in its references and different from other eras, in terms of the breadth, diversity and accuracy of its ideas, and some of them were renewed at times. And taking other dimensions more connected to reality and expressing it, based on the duality of society and culture, critics began to express different references that constitute the image of the literary movement in the third.

key words: (political trend, diwani letters. abbasid era. prose writing).

**المقدمة:**

إنَّ صعوبة الموضوع فتكمن في قلة المصادر النثرية وبالتحديد التي درست الرسائل الديوانية؛ لأن اكثر الدراسات تجنح صوب الشعر على حساب النثر، وهذا ما ولد القلة في المصادر التي حاولت أن استقصيها وأوفر ما تيسر منها، لكن في الوقت نفسه هناك دراسات سابقة أفادت الموضوع بصورة كبيرة، فإلى جانب (جمهرة الرسائل) كان على رأسها اطروحة الدكتوراه الموسومة بـ(الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، للأستاذ الدكتور: رمضان صالح عباد الجبوري) و(أثر الحكام وثقافتهم في تطور الأدب في العصر العباسي (١٣٢-٢٣٢هـ)، لمحمد محمد عيسى فيض) و(الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، لعبد الكريم توفيق العبود) وكتب شوقي ضيف عن النثر ونشأته وتطور الكتابة الديوانية وغيرهم، وهذه الكتب اسهمت في حصر الرسائل الديوانية ذات البعد السياسي في العصر العباسي الأول.

## المبحث الأول

## ماهية الرسائل الديوانية

لقد عبرت الكتابة النثرية عند العرب عن الأحداث والوقائع والظروف المختلفة، فظهرت الكتابة الرسمية التي كانت تشير وتحيل إلى أغراض خاصة بها، وهذا يحدده مستوى الخطاب داخل النص النثري الكتابي، فكان العصر العباسي انطلاقاً وتقدماً للكتابة النثرية الرسمية بصورة كبيرة ومتنوعة المقاصد والاتجاهات((فقد بلغ النثر الفني منزلة سامية، وامتاز بسهولة العبارة، وانتقاء الألفاظ، وجودة الاسلوب، كما امتاز بجودة المعاني واختراعها، ودقة الأخيلة وابتداعها، وظهور آثار الثقافات الحديثة وخاصة اليونانية فيه))[١].

فأصبح النثر ينافس الشعر في ميدان الأدب وتأدية المقاصد وإيصال الرسائل المختلفة، مستفيدين من القيمة الفنية الكبيرة التي أفادها العرب من الأمم الأخرى، ولاسيما في المخاطبات الرسمية، فأصبح التخصص في الكتابة النثرية طريقاً مهماً للوصول إلى المقاصد التي يريدها صاحب

الرسالة، وبهذا أصبحت الرسالة الرسمية أو ما يعرف بالرسالة الديوانية تحيل إلى اتجاهات ومعاني مختلفة باستعمال الإشارات والإحالات والرموز وأحياناً بصورة صريحة.

فهذا أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) يحاول بيان العلاقة بين الكلمة والمعنى أو اللفظ والمقصد بصورة أدق فيقول:((الكلام أيدك الله يحسن بسلاسته، وسهولته ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديه، ومواقفه مآخيره لمباديه))[٢].

وانطلاقاً من هذه المقدمة السلسة عن الكتابة النثرية الرسمية في العصر العباسي الأول يمكن وضع أو تقديم معنى مناسب للرسالة الديوانية وهي أنها ((تلك الرسائل التي تعالج شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة وشؤون الرعية ومصالحها، الديوان مصدرها وموردها، وقد احتل ديوان الرسائل مكانة بارزة ومرموقة في قصور الخلفاء والامراء والقواد، فأصبح بمثابة وزارة مهمتها إدارة الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، ولسانها الناطق باسمها))[٣].

وبهذا يتضح كيف أن الرسائل الديوانية تدخل في الجانب التنظيمي والإداري للدولة، مع اشتمالها على الموضوعات السياسية المختلفة، كأن تتناول شؤون الحكم والرعية والشؤون السياسية الخارجية للدولة، وذلك يكون ضمن المخاطبات الرسمية ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المخاطبات الرسمية، ولهذا يظهر فيها دقة المعلومات ومقصدها في الوقت نفسه[٤].

## المبحث الثاني

## الاتجاه السياسي في الرسائل الديوانية في العصر العباسي الأول

يعد الاتجاه السياسي من الاتجاهات الأساسية التي تؤديها الرسائل الديوانية في العصر العباسي الأول، إذ يمكن أن يقال أنه في المقام الأول أو الاهتمام الأول داخل الدولة العباسية؛ لارتباطه بشؤون الدولة داخلياً وخارجياً، وعليه هذه الكتب تكون لها علاقة بتثبيت أسس ودعائم الخليفة وسلطته على كل مساحة الدولة ومركزيته، مع عدم اغفال تنظيم علاقته بولاته وأعماله، وتنظيم

علاقة الدولة بما جاورها من البلدان الأخرى[٥]، ويمكن الولوج إلى هذا الاتجاه من خلال جملة من الضربات النصيّة والسياقية داخل بنية الرسائل الديوانية، وهذه الإشارات والتعبيرات السياسية هي التي تجعل الرسالة تأخذ بعداً سياسياً أكثر من الأبعاد الأخرى.

مع عدم اهمال فكرة أن الدين الإسلامي قد دعا غلى العناية بالأمور السياسية وأهميتها في مختلف الظروف والأحوال، إذ ((الإسلام كما فهمه المسلمون الأولون- دين وسياسة، عقيدة ونظام، فالدين والسياسة متلازمان في الشريعة الإسلامية))[٦]، ولهذا الخلافة العباسية لم تفصل الدين عن السياسية، بل ربما أحياناً سوغت الدين في خدمة الأمور السياسية كجزءٍ من شرعية الحكم والسلطة لبني العباس.

فقد ظهر الاتجاه السياسي في رسالة الخليفة أبي جعفر المنصور إلى أبي مسلم الخراساني، إذ لمّا((ظفر أبو مسلم بعسكر عبدالله بن علي، بعث أبو جعفر مولاه أبا الخصيب إلى أبي مسلم، ليكتب له ما أصاب من الأموال، فهمَّ أبو مسلم بقتله، فَكُلِّم فيه، وقيل له إنما هو رسول فخلِّ سبيله، فلما رجع إلى أبي جعفر أخبره بما كان، فخاف أن يَمضي أبو مسلم إلى خراسان، فكتب إليه كتاباً مع يقطين بن موسى))[٧].

فجاء نص الرسالة يحمل بعداً سياسياً ((**قد ولّيتك مصر والشام، فهي خير لك من خُراسان، فوجِّهْ إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام فتكون بقُرْب أمير المؤمنين، فإن أحبَّ لقاءك أتيته من قريب**))[٨].

في هذه الرسالة يظهر الاتجاه السياسي في تناول أمور المناصب وتوليتها من جهة، وفي الوقاية من التأثير السياسي والعسكر لأبي مسلم الخراساني من جهة أخرى، فكان الخليفة المنصور يريد التركيز والإحالة إلى الاستقرار السياسي للدولة العباسية والحفاظ عليها من الاضطرابات والفتن، وعدم السماح للفوضى السياسية بالتسلل إلى ارجاء الدولة ومفاصلها؛ فكان عزله لأبي مسلم في موطنه وبين أنصاره، ليسحب منه شرعية الثورة أو القيام بالفتن والاضطرابات.

وذلك أن الخليفة المنصور كان حذراً ومترقباً من صعود أبو مسلم الخراساني داخل الدولة، فقد عرف أنه أصبح يعدّ((مصدر الخطر الثاني عند المنصور إن لم يكن مصدر الخطر الأول، فالخليفة لا يطمئن إليه، ولا إلى ولائه له، ولا في اخلاصه، خاصة بعد انتصاره على عمّه عبدالله بن علي، وأن سياسة أبي جعفر لا تعترف بمثل تصرفات أبي مسلم، لأنه يرى فيه انتقاصاً من سلطانه وهيبته))[٩].

فكانت من أولوياته عن تولي الخلافة العباسية التخلص منه وعدم تركه في الساحة السياسية العباسية، فكانت المهمة الأولى التي قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور، لاسيما أن الخراساني أصبح مصدر التهديد الأول للسلطة والخلافة؛ لكثرة أنصاره وتعدد جيوشه.

ويظهر الاتجاه السياسي في رسالة أخرى من أبي جعفر المنصور إلى الآفاق بالبيعة للمهدي وضرورة التسليم له بكونه الأحق بالخلافة، جاء في بعضها ((**والمهدي -معشرَ المسلمين- في عَفافه وصلاحه وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته واستصلاحه واستبقائه، وعفوه ومقدرته، ورأيه ومكيدته وشوكتهِ على عدوّه، وحسن تدبيره في ولايته وسياسته لجنوده، ورفقه وعدله، وأدبه وفقهه، وفهمه ونجابته ويُمْنِ نقيبته، وتوسعهِ ذات يده، واغتفاره وهَدْيه، وحسن جزائه أهل الغناء عنه والبلاء معه، والطاعة له والسمع منه، ولينه وحزمه وعزمه، ووفائه وصدقه، هو المصطنع لولايتكم، والمتخير لسياستكم واجتماع أُلفتِكم، وتمام نعمةِ الله عليكم...**))[١٠].

فكان الاتجاه السياسي هنا يقوم على محاولة اقناع الرعية بصفات ولي العهد وضرورة التسليم والمبايعة له، ونقول الاقناع لا الاجبار؛ لأن الخليفة واعياً بأن ما يأتي بالإجبار والقوة يذهب بالإجبار والقوة، ولهذا قدم جملة من التشكيلات التعبيرية، التي تحمل اتجاهاً سياسياً كقوله (حلمه) (عفوه)(مقدرته) (رأيه) (مكيدته) (حسن تدبيره) (لينه) (حزمه) (عزمه) (المتخير لسياستكم...)، فكل هذه احالات ذهنية تنشيطية تبين للرعية فنون القيادة والتدبير التي يمتلكها المهدي، وبالتالي تأييدهم هو اختيار صحيح لاستقرار الدولة ودوامها، لاسيما أنه جمع بين القوة واللين في تقديم شخصية المهدي للرعية.

وهذا ما اتضح فعلا حينما كانت خلافة المهدي من الحقب المزدهرة في خلافة بني العباسي، فقد كان منظر الخلافة داخل المملكة باهراً وكان كذلك مظهرها نظرة الأمم الأخرى...اهتم بمعالجة مشاكل كل الأقوام الهندية...تصرفه بالأموال الموروثة عن أبيه وما أضاف إليها، الضرائب الزراعية ووسائل اصلاحها وطرق جبايتها، ضرائب الأسواق والعقارات، مشاريع الزراعة وكذلك سك الدينار الجيد وغيرها من الاصلاحات وحملات التطور والازدهار(١١).

وفي نصٍ آخر تظهر رسالة الخليفة المهدي إلى أحد ولاته تركز على الاتجاه السياسي أو تحيل إلى الاتجاه السياسي((...**وأمرَه بحُسنِ الولاية وَرِفق السياسة، وإظهار العدل والعمل بالحق، وَكفّ الظلم، وإبطال الجور، وإيثار أهل الطاعة والنصيحة والفضل والورع وصدق النية، ويفضِّلهم على غيرهم، ويستعين بآرائهم فيما هو مُصْدِرُه حتى يكون ما يُمْضي ويُنْفذ منه يحسب ما يجتمعون عليه ويرَوْنَهُ موافقاً للعدل، ومجانباً للظلم والجَوْر...**))(١٢).

في هذه الرسالة يعبر الخليفة المهدي عن نظرته السياسية ونقل هذه النظرة إلى ولاته وضرورة توحيد الرؤية في طريقة الحكم، إذ كل الأوامر التي قدمها في هذا الجزء من الرسالة تدعو إلى حتمية المزج بين العقل والعاطفة في تسيير شؤون الدولة العباسية في الأمصار المختلفة.

فقد أراد الخليفة المهدي ((أن يسود الأمن أرجاء الدولة العباسية، ووفر العدل لجميع رعاياه. وأدرك المهدي أن أباه المنصور قد تولى الخلافة في فترة قلقة، فقد كان يقيم دولة كبرى بعد أن نجح في القضاء على دولة عريقة كانت قد وطدت حكمها))(١٣)، فأراد تقنين الأعداء قدر الإمكان من خلال هذه الرسالة، ومحاولة جذب الأنصار الذين يدعمون الدولة سياسياً، فكانت الرسالة توجيهية ليس فقط من أجل توجيه الأمير لما يراد منه، بل يراد بها التقويم والتسديد للرأي والمشورة، حتى تكون القرارات المتخذة على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتق الأمير والوالي.

فقد((أدرك المهدي أن هذه المرحلة الحرجة قد انتهت، وأن الدولة العباسية قد نجحت في تدعيم أركانها، وكسبت محبة الناس ورضاهم، فرأى أن يبدأ عهده بالتسامح والعفو واطلاق سراح هؤلاء

المسجونين، فأمر بالإفراج عن كل مسجون اتهم بجريمة سياسية إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل، ومن كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد))[١٤].

ومن هذه الأنواع رسائل التهديد والوعيد والتعزية والمواساة والبشائر والتهادي، ففي رسالة إلى الخليفة الرشيد من قمامة بن زيد حاكم أحد الأمصار يشرح فيها أحوال الولايات الإسلامية جاء فيها **(كُلُّ ما قِبلَنَا وما يتناهى إلينا عن ثغور أمير المؤمنين وأطرافه وبلاده أقصاها وأدناها، في صلاح ذلك كلّهِ واستقامته وهدوئه، على أفضل ما عوَّد الله أمير المؤمنين فيه العُلوَّ والعافية، وأنا احتذي فيه من أمير المؤمنين أمرين: إمّا تقدمةٌ عرَّفني فيها رأيه، فأنا ألْزمها، ولا أعدل عنها؛ وإمّا أثر قد نَهَجُه أميرُ المؤمنين، فأنا أركبه وأتبعه ولا أفارقه، فعلى هذا -بحول الله وقوّته- مُعتمدي، قد كفى اللهُ في الهداية، وأعطى فيه الخيرَ والمنَّ والسعادة، فله الحمد والشكر)**[١٥].

يتضح من هذه الرسالة أنها تشتغل في إطار الأمور الرسمية ومن ضمن أعمال الدولة، فهي تشرح حال الأمصار للخليفة، وفي الوقت نفسه تتضمن الدعاء للخليفة، وتجديد الولاء من الأمراء، والسير على تعاليم ومنهج العباسيين في حكم المسلمين وازدهارهم وتطورهم وعدالتهم، فهذه الرسائل إيجابية توطد الحكم وتؤسس للاستقرار السياسي والاجتماعي للدولة العباسية، حتى تكون الدولة منيعة قوية خالية من الفتن والاضطرابات المختلفة، لتتوجه إلى الازدهار والعمران وتوسيع رقعتها بالفتوحات الكثيرة.

وفي رسالة كتبها عمرو بن مسعدة[١٦]إلى المأمون تصف حال احدى الولايات الإسلامية جاء فيها **(كتابي إلى أمير المؤمنين، ومَنْ قِبَلي من قُوّاده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعةُ جُنْدٍ تأخّرتْ أرزاقُهم، وانقيادِ كُفاةٍ تَراختْ أعطياتُهم، واختلّتْ لذلك أحوالهم، واضطربت معه أمورُهم)**[١٧].

وهذه الرسالة الرسمية تشرح للخليفة تأخر ارزاق الجند، الذي بدوره سيؤثر على معنوياتهم وعزيمتهم، فالموضوع رسمي ويتعلق بحالة الجند في بعض المناطق، لكن في الوقت نفسه يؤكد

الأمير على الطاعة والانقياد والوفاء للخلافة العباسية، وتأكيد الولاء لها في أوقات الحرب والسلم على السواء.

ومن الرسائل الديوانية ذات الأبعاد السياسية ((رسائل التهديد والوعيد فقد كان لها شأن آخر، إذ إن الكُتاب لم يرعوا فيها التقاليد المتبعة في الرسائل الخاصة بأعمال الدولة وتصريف شؤونها، فكانت رسائل التهديد والوعيد الموجّهة إلى العدو الخارجي، تخلو من العبارات المألوفة في صدور الرسائل الديوانية، كعبارات التحميد وعبارات الدعاء، وكان الغالب عليها هو الميل إلى الإيجاز))[١٨].

ومن نماذج الاتجاه السياسي في هذه الرسائل رسالة المنصور إلى النفس الزكية[١٩] بعد خروجه على العباسيين بالمدينة جاء في بعضها ((**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله، أما بعد: ...ولك عليَّ عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صل الله عليه وسلم إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أومِّنك وجميع ولدك وإخوتك، وأهل بيتك ومن اتبعكم، على دمائكم وأموالكم، وأُسَوِّغَك ما أصبْتَ من دم أو مال، وأعطيك ألفَ ألفِ درهم، وما سألت من الحوائج وأُنزلك من البلاد حيث شئت...**))[٢٠].

فيمكن أن نستشف من هذه الرسالة أن الخليفة أراد الاتجاه السياسي بصورة أساسية، بمعنى: الدفاع عن السلطة والتمسك بها، حتى وإن كان الخصم من آل بيت النبوة الكرام (عليهم السلام)، فيتضح في هذه الرسالة التهديد المبطن من الخليفة المنصور للنفس الزكية، إذ كل ما يعرضه يرتبط بالطاعة والولاء، وإلا يكون السيف هو الفيصل في اخماد الحق الذي يطالب به النفس الزكية والذي قاده في المدينة مع مجموعة من أنصاره الذين كانوا ينادون بحق آل البيت الكرام بالحكم والخلافة كونهم أقرب نسباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكثر علماً ورفعة من العباسيين وغيرهم.

أما رسالة المأمون إلى توفيل[٢١] ملك الروم بعد أن طلب الأخير الموادعة والتهدئة يتضح البعد السياسي من جواب المأمون جاء في بعضها ((**أما بعد، فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة،**

**ودعوت إليه من المُوادعة، وخَلطَت فيه من اللين والشدة، مما استعطفتَ به من سراح المتاجر، واتصال المرافق، وفك الأَسارى، ورفع القتل والقتال، فلولا ما رجعتُ إليه من إعمال التؤدَة، والأخذ بالحظِّ في تقليب الفكرة، وألاَّ أعتقد الرأي في مستقبلهِ إلا في استصلاح ما أوثِرُه في مُعْتَقَبه، لجعلتُ جوابَ كتابك خَيلاً تحملُ رجالاً من أهل البأس والنَّجدة والبصيرة، ينازعونكم عن ثُغْلكم...))**[٢٢].

فينم هذا الكتاب عن الفكر السياسي الذي يتمتع به المأمون، فقد قبل الصلح وفق الشروط التي وضعها، لكن ما نلحظه أن السيف والقتال لم يكن ديدن الخلفاء العباسيين دائماً، بل السياسة والمفاوضات مهمة جداً في السيطرة والتوسع.

فقال **(اعمال التؤدة- الأخذ بالحظ- اعتقد الرأي)** فلا يمكن لأي دولة أن تستمر دون السياسة والموادعة والمفاوضات والتفاهم ويظهر **((**أن السياسة الخارجية للدولة العباسية مع الروم ظلت قائمة على هذا الأساس طوال العصر العباسي الأول، وكانت تنطلق معهم من مواقع القوة**))**[٢٣]، فبالرغم من استفزاز ملك الروم للخليفة المأمون لكن الخليفة آثر السياسة والحكمة في الإجابة لطلب الصلح.

وفي موضع آخر لما أمر المأمون أن يُحجب عنه الفضل بن الربيع لسببٍ تألم قلبه منه، جاء كتاب الفضل بن الربيع **((يا أمير المؤمنين، لم يُنسى التقريبُ حالي أيام التبعيد، ولا أغفلتني المؤانسة عن شكر الابتداء، فعلى أيِّ الحالين أُبْعَدُ من أمير المؤمنين، ويَلْحَقني ذمُّ التقصير في واجب خدمته؟ وأميرُ المؤمنين أعدَلُ شُهودي على الصدق فيما وصفتُ، فإنْ رَأى أمير المؤمنين أن لا يكتُم شهادتي فَعَلَ إن شاء الله))**[٢٤].

وهذه الرسائل كانت تستعمل لاستمالة الخليفة وطلب عطفه بتقريب المرسل، بخاصة أن الفضل بن الربيع كان مقرباً من الخليفة، وأحد رجالات الحكم السياسي العباسي الذين يعتمد عليهم الخليفة العباسي في تسيير شؤون الدولة، وهذا نوع من الرسائل الديوانية التي شاعت في هذا العصر موضوعها الشكوى والتظلم.

وهذا يدل على أن الرسائل ليست فقط تصدر من الأمير إلى الرعية أو القادة، وإنما يمكن أن تكون من الرعية إلى أمير المؤمنين أو من كاتب إلى كاتب آخر أو شخص آخر، وهذا يدل على أن الرسائل لم تقصر على الدولة فقط.

وكذلك رسائل التقرب وطلب العفو والتهادي كانت من أنواع الرسائل الديوانية، من ذلك كتاب السيدة زبيدة إلى الخليفة المأمون تستعطفه بعد توليه الخلافة ونهاية خلافة الأمين جاء فيه ((**كلُّ ذنب يا أمير المؤمنين- وإن عَظُمَ -صغيرٌ في جَنبِ عفوك، وكل زلل _وإن جَلَّ_ حقير عند صَفحِك، وذلك الذي عوَّدَك الله، فأطال مُدَّتك، وتمَّم نعمتك، وأدام بك الخيرَ، ورفع بك الشَّرَّ. هذه رقعة الوالِهِ التي ترجوكَ في الحياة لنوائب الدهر، وفي الممات لجميل الذِّكر، فإن رأيتَ أن ترحمَ ضعفي واستكانتي، وقلة حيلتي، وأن تَصِلَ رَحِمِي وتحتِسبَ فيما جعلك الله طالباً، وفيه راغباً، فأفعلْ، وتذكرْ من لو كان حَيًّا لكان شفيعي إليك**))[٢٥].

فيمكن أن تسمى هذه الوثيقة نقل الولاء والطاعة من الأمين للمأمون، فتعدّ الوثيقة رسمية من جهة أنها موجهة إلى الخليفة (**جنب عفوك- عند صفحك- ترجوك في الحياة**)، فهي خاصة بشؤون أهل الحكم، ومن أصحاب السلطة أنفسهم، فأرادت زبيدة أن تستميل الخليفة المأمون طالبة الأمان لها ولأهل بيتها، ولهذا ركزت على تعبيرات (**ترحم ضعفي-استكانتي- قلة حيلتي- تصل رحمي**) التي هي من عبارات التبجيل والحمد والتذكير بأنه بمقام الابن لها، وهذا جزء من لغة العفو والتهادي وارجاع الأمور إلى مرحلة ما قبل الصراع بين الأخوة، فما كان من الخليفة المأمون إلا أن يجيبها لما تريد ويحقق ما تطلب.

ونلحظ أهمية الرسائل الديوانية في الحياة السياسية للخلافة العباسية بموضوعاتها المختلفة، مركزة على مناسبة الخطاب للمقام والحدث، ولاسيما أن الكتابة كما يقول الكلاعي:((موطن ترحيب وتأهيل، والخطابة مقام ترفيع وتبجيل. وأن يكون الكاتب في حيِّز من قد علا وزاد، خير من أن يكون في حيّز من قصَّر عن الواجب المعتاد. وخير من هذين أن يلقى كلَّ طبقة بما يشاكلها من اللفظ ويوافقها، ويقابل كل فئة بما يشاكلها من المعنى ويطابقها))[٢٦]، وهذا النص يظهر ازدهار

الكتابة واتساعها لتشمل ضروب الحياة وجوانب الأحداث والظروف المختلفة، والجانب السياسي عنصر التحكم في الحياة العباسية بشكل عام.

فالمناسبة كانت تحدد اتجاه الموضوع وشكل الكتابة، إذ بسببها تتحول الكتابة الديوانية بين الأنواع المختلفة، فكانت المناسبة تتطلب كتابة الرسائل الديوانية أو العهود أو التوقيعات، والألفاظ المستعملة كانت أسيرة لتلك المناسبة؛ لتحقق المناسبة بين المقال والمقام.

وقد دلت رسائل البشائر على جوانب سياسية متعددة، فقد كانت تكتب ((في المناسبات السعيدة، كالانتصارات، والفتوح والأعياد، ومواسم الخير، وقد ترسل منها نسخ عديدة إلى شتى الأمصار الإسلامية، كي تقرأ على المنابر، ويفرح بها المسلمون في تلك الأمصار، والموضوعات التي تكتب بها رسائل البشائر متنوعة، منها: الإعلان بما يتحقق من فتوح البلدان، والانتصارات على الأعداء، والقضاء على الحركات المعادية، وغيرها ممّا من شأنه إدخال المسرة والفرح إلى قلوب الرعية))[٢٧].

فكان لهذه الرسائل اتجاهات سياسية في عبارات وافتتاحيات تميزها عن الرسائل الأخرى، إذ ((غالباً ما تبدأ بشائر الفتوح والانتصارات بالتحميدات، وإبراز دور الخليفة في نصرة دين الله، والحفاظ عليه، فمن المألوف أن يكون التحميد بعبارة: الحمد لله معز الحق، وناصره، وقامع الباطل، وقاهره))[٢٨].

ومن نماذج هذه الرسائل (رسالة الخميس) التي كتبها أحمد بن يوسف عن المأمون بعد توليه الخلافة وانتصاره على الأمين، إذ تكتسب اهميتها من الموقف الآني الذي كتبت فيه وعبرت عنه، لاسيما الاتجاه السياسي، فجاء في بعضها ((...**فإن أمير المؤمنين يحمَدُ إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسولهِ، أما بعد: فالحمد لله القادر القاهر، الباعِثِ الوَارِث، ذي العز، والسلطان، والنور والبرهان، فاطِرِ السموات والأرضِ وما بينهما، والمتقدم بالمَنِّ والطَّوْل على أهلهما، قبل استحقاقهم لمَثُوبَته بالمحافظة على شرائع طاعته...**))[٢٩].

فنلحظ جملة من التراكيب التي تحيل إلى الاتجاه السياسي الذي يريد المأمون التركيز عليه (فإن أمير المؤمنين–ذي العز– السلطان) التي تحيل إلى الاتجاه السياسي الذي هو مصدر القوة داخل الدولة العباسية، ويبدو المأمون من خلال هذه النصوص ومن خلال المنجزات المختلفة التي تمت في عصره قد حقق أو أحال إلى أنه شخصية واقعية عملية من وجهة نظر سياسية تختلف اختلافاً جذرياً عن شخصية أخيه الخليفة الأمين الخيالية الحالمة التي لا تتقن فن القيادة. وأما من الناحية العلمية فقلائل هم الخلفاء والحكام المسلمون الذين يمكن موازنتهم بالمأمون في علمهم وحبهم للعلم والمعرفة وتشجيعهم للبحث والدرس والتأليف(٣٠).

وعليه يكون الاتجاه السياسي مهماً في الرسالة الديوانية في العصر العباسي الأول، ولاسيما أنه عصر تحول في كثير من حقبه، سواء على مستوى الخلافة أو ولاية العهد أو العلاقات الخارجية أو الإدارة الداخلية، وفي مختلف شؤون الدولة العباسية الأخرى، مما يوضح أهمية الرسالة الديوانية في تعبيرها عن وجهة النظر السياسية وطريقة الحكم.

**الخاتمة ونتائج البحث:**

١-كان للرسائل الديوانية دور كبير في تثبيت أسس الدولة العباسية واتساعها وتنظيمها، إذ احتوت على موضوعات مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية، فهي رسائل رسمية في لفظها ومعناها، ولهذا برزت بها سياقات مختلفة بحسب المقام.

٢-يعد الاتجاه السياسي من أهم الأغراض التي تؤديها الرسائل الديوانية، فهو المستوى الأول الذي يحفل بالعناية والاهتمام داخل الدولة العباسية، إذ توطيد الحكم وأسسه، وتنظيم أمور الأمصار والولايات وعلاقة الدولة بالدول الأخرى هي الغاية التي كان العباسيون يشتغلون عليها.

٣-يعبر الاتجاه السياسي عن النضج السياسي الذي وصلت إليه الدولة العباسية في الاتصال بالأمم والدول المحاذية لربوعها.

٤- لم تكن الرسائل الديوانية منفصلة عن التاريخ، فكان اللجوء إلى الحدث التاريخي أداة للتعبير عن الاتجاه السياسي كأمور ولاية العهد والأحق بالحكم وشرعية ذلك، وجعلها عنصراً للفهم والتفسير والخروج بالنتائج.

٥- إن العامل النفسي أثر في موضوعات السياسي ومعاني الرسائل سياسياً إذ لكل عاطفة إبداع، وهذا الإبداع يقيم بعد خروجه إلى المجتمع، من خلال معرفة الدوافع النفسية وراء نظمه وتشكيله، فالدعوة للحرب والصلح والسياسة يخضع لمعيار نفسي يتحكم به.

**الهوامش:**

١_الحياة الأدبية في العصر العباسي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار العهد الجديد، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م: ٣٤.

٢_كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ_ ١٩٥٢م: ٢٢٠.

٣_الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول: ٢٣.

٤_ ينظر: الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية: ١٩.

٥_ينظر: الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الأستاذ الدكتور رمضان صالح عباد الجبوري: ٩٣.

٦_اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م: ٨٠.

٧_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢٦/٣.

٨_المصدر نفسه: ٢٦/٣.

٩_أبو مسلم الخراساني ودوره في قيام الدولة العباسية، إعداد: رغدة سعدي عابد، إشراف: الاستاذ الدكتور خلقي خنفر، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ١٤٣هـ_ ٢٠١٥م: ٦٦. (رسالة ماجستير)

١٠_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٢٥/٣.

١١_ينظر: أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨_١٦٩هـ/٧٧٤_٧٨٥م)، إعداد: ابتسام أكرم مندورة، إشراف: الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ_١٩٩١م: ١٤٨_٣٦٤. (اطروحة دكتوراه)

١٢_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ١٣٤/٣.

١٣_المهدي العباسي ثالث الخلفاء العباسيين، د. علي حسني الخربوطلي، مكتبة مصر، القاهرة: ٥٥.

١٤_المصدر نفسه: ٥٥.

١٥_ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة الشطر الأول من رسائل العصر العباسي الأول: ٢٨٥/٣.

١٦_ابن سعد بن صول العلامة البليغ أبو الفضل ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي وكان موقعاً بين يدي جعفر البرمكي، وكان فصيحاً قوي المواد في الإنشاء، عمل وزيراً للمأمون وله نظم جيد توفي سنة (٢١٧هـ) وقيل (٢١٥هـ)، سير اعلام النبلاء: ١٨٢/١٠.

١٧_جمهرة رسائل العرب_ الشطر الأول من رسائل العصر العباسي الأول:٣/ ٤٣١.

١٨_فنون النثر في الأدب العباسي: ٨٦.

١٩ _ ابن حسن ابن السيد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، الحسني، المدني الأمير الواثب على المنصور وأخوه إبراهيم حدث عن نافع وأبي الزناد خرج يطالب بالخلافة في أيام المنصور انتهى الأمر بالصلح بينهما، ينظر: سير اعلام النبلاء، الذهبي: ٢١٠/٦.

٢٠_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/ ٧٨.

٢١_الملك الثاني ملك تسع سنين في أيام المأمون والمعتصم وصدراً في أيام الواثق وهو الذي هجم على مدينة زبطرة فخرج عليه المعتصم غازياً حتى نزل على عمورية فافتتحها، ينظر: موقع نداء الإيمان، شبكة الانترنيت: al-eman.com .

٢٢_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣/ ٤٤٨.

٢٣_الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، عبد الكريم توفيق العبود، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٧م: ١٣٠. (اطروحة دكتوراه)

٢٤_ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣٦٣/٣.

٢٥_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١٤/٣_٣١٥.

٢٦_إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي الأندلسي (من أعلام القرن السادس)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م: ٢٥٠_٢٥١.

٢٧_الرسائل الديوانية في العصر العباسي دراسة فنية: ١٤٥.

٢٨_المصدر نفسه: ١٤٥.

٢٩_جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: ٣١٨/٣.

٣٠_ينظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول _دراسة ونصوص_: ٥٨.

**المصادر والمراجع:**


١. الحياة الأدبية في العصر العباسي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار العهد الجديد، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

٢. كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ_ ١٩٥٢م.

٣. الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، د. حسين بيوض، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٦م.

٤. الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية، أسماء عبد الرؤوف عطية الله، إشراف: صالح آدم بيلو، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية- الدراسات العليا، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م. (اطروحة دكتوراه)

٥. الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الأستاذ الدكتور رمضان صالح عباد الجبوري، إشراف: حسن نجم البياتي، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٩٩٧م. (اطروحة دكتوراه).

٦. اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.

٧. أبو مسلم الخراساني ودوره في قيام الدولة العباسية، إعداد: رغدة سعدي عابد، إشراف: الاستاذ الدكتور خلقي خنفر، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ١٤٣هـ_ ٢٠١٥م. (رسالة ماجستير)

٨. أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (١٥٨_١٦٩هـ/٧٧٤_٧٨٥م)، إعداد: ابتسام أكرم مندورة، إشراف: الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ_١٩٩١م. (اطروحة دكتوراه)

٩. المهدي العباسي ثالث الخلفاء العباسيين، د. علي حسني الخربوطلي، مكتبة مصر، القاهرة.

١٠.فنون النثر في الأدب العباسي، محمود عبد الرحيم صالح، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ_٢٠١١م.

١١.موقع نداء الإيمان، شبكة الانترنيت: al-eman.com .

١٢.الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، عبد الكريم توفيق العبود، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٧م. (اطروحة دكتوراه)

١٣.إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي الأندلسي (من أعلام القرن السادس)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

١٤.جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

١٥.الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول _دراسة ونصوص_، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.